المصـــــدر : الجزيرة
التـــاريخ : 16-06-2006
الصفحـات : 25
العـــدد : 12314
المسلسل : 152

لمحات من بعض الزيارات الملكية لمنطقة القصيم

القصيم أهل عز ودين وحمية كان الملك عبدالعزيز عند زيارته يمكث بينهم شهراً

زيارات الملك عبدالعزيز لبريدة لا تحصى لما يجد عند أهلها من التأييد المادي والمعنوي

المصـــــدر : الجزيرة
التـــاريخ : 16-06-2006 العـــدد : 12314
الصفحـات : 25 المسلسل : 152

حدثنا الابن البار عن أبيه قال: (كان الملك عبدالعزيز طيب الله ثراه لا يزور القصيم يوماً بل يمكث فيه شهراً كاملاً، وليس ذلك إلا دليل المحبة والتقدير لهذا البلد العزيز، فهم أهل عز ودين وحمية)، هذا ما حدث به صاحب السمو الملكي الأمير سلطان بن عبدالعزيز أمام الملأ في قصر الضيافة ببريدة في ١٢-٤-١٤٢٧هـ وهو أدرى بأحوال أبيه وأحفظ لتاريخه، وسار أبناؤه من الملوك على خطاه فتكررت زياراتهم لهذه المنطقة وعلى رأسها قاعدتها وعاصمتها مدينة بريدة، وهذه إشارات سريعة حسب ما تسمح به المساحة هنا وإلا فإن الكلام طويل.

الملك عبدالعزيز:

كان الملك عبدالعزيز كثير التردد على مدينة بريدة إبان توحيد البلاد وبعده، ولا تحصى زياراته لهذه المدينة، لما يجد عند أهلها من التأييد المادي والمعنوي، والمؤازرة بالنفس والنفيس، وكان الملك كما يحدثنا الرواة يزور مدينة بريدة كل سنة، وأذكر هنا نماذج من زياراته المتأخرة فقط.

ففي سنة ١٣٤٦هـ قدم الملك عبدالعزيز إلى مدينة بريدة بموكب عظيم ونزل قصر الحكم فيها، وكان هذا إبان الخلاف مع الإخوان، فأراد أهالي بريدة أن يظهروا تأييدهم لهم ووقوفهم معه في أحلك الساعات وأشد الظروف وإن كانوا قد تعودوا على زياراته التي لا تعد ولا تحصى، فتهيأوا لاستقباله وأغلقوا دكاكينهم وعطلوا أسواقهم وجميع أعمالهم وخرجوا من بعد صلاة الفجر إلى (جردة بريدة) ينتظرونه، وصفوا صفوفاً ورتبوا أنفسهم لا يتركون أماكنهم إلا أن تقام صلاة فريضة فيؤدونها ويرجعون مسرعين إلى مواضعهم، قال الشيخ إبراهيم بن عبيد: (ولقد شاهدت ذلك الاستقبال في حال صغر سني فما رأيت استقبالاً أعظم ولا أبهى ولا أهيب منه)، وما زالوا على حالهم حتى قدم الملك بريدة بعد غروب الشمس من ذلك اليوم، فرحب الأهالي به غاية الترحيب وقدموا له كل غال ونفيس.

ومن انشراح صدر الملك وسروره بما رآه فقد دار في تلك الليلة على أربعة عشر بيتاً من بيوت أهالي بريدة، يتناول عندهم الضيافة العربية ويأخذ ويعطي معهم فيما يهم الدولة والرعية.

وفي سنة ١٣٥٧هـ قدم الملك عبدالعزيز إلى مدينة بريدة ومعه ثلاثون من أنجاله، ونزل حي التغيرة، وكان معه خمسة آلاف خيمة، ومن الجنود ثلاثون ألفاً، وأكثر من ألفي سيارة، وأقام أياماً في بريدة ثم اتجه إلى حائل.

وفي سنة ١٣٦٠هـ عزم الملك عبدالعزيز على زيارة مدينة بريدة، فأصلحت الطرق الترابية، وقدم الملك يصحبه أنجاله ومعه ولي عهده سعود، ونزل حي التغيرة، وكان قد أعد له ما يليق بمقامه، وكانت زيارته هذه بالمراسم العسكرية ولأول مرة، وأضيء الموقع بالكهرباء، وكان استقبال الأهالي عظيماً وحافلاً.

ويحكي الشيخ إبراهيم بن عبيد آل عبدالمحسن قصة له في هذه الزيارة مع الملك عبدالعزيز، فمما ذكر أنه ذهب مع وفد من طلبة العلم إلى الملك للسلام عليه، وبعد أن اديرت القهوة تكلم الملك معهم ومما قال: (يا إخواني سجان من يغير ولا يتغير، وإن الدنيا مآلها إلى الفناء والزوال، ويكفينا عبرة سكان هذه البقاع الخاوية (ويشير بيده إلى جهة الغرب يريد بلدة الشماس القديمة التي اندثرت واحتوتها مدينة بريدة) يا إخواني كأنه لم يُسكن إخواني: إن العز في طاعة الله تعالى، أما الدنيا فإنها تمضي على ما كانت حلاوة ومرارة، نحن لا نخشى من الناس وإنما نخشى من أنفسنا، إن الله لا يغير ما بقوم حتى يغيروا ما بأنفسهم، وهذه الدنيا وإن حذرنا منها فكلنا لا ننتهي عن الركون إليها كما قيل: (الدنيا دواهي وكل عنها ناهي وهو غير متناهي).

قال الشيخ: فأحببت أن أشجعه على القيام بأمر الله وإن كان لم يقصر رفع الله منازله في جنات النعيم وجزاه عن الإسلام وأهله خيراً فقلت له: إن إمام هذه الدعوة محمد بن عبدالوهاب قال لجدكم محمد بن سعود: إن قمتم بهذا الأمر فلا يُقاومكم أحد إلا ان كانت هذه العنز تُقاوم هذا الجبل، فأعجبه ذلك وتأثر قائلاً: نخشى عدم القيام بهذا الأمر غير أننا نسأل الله المعونة.

وتميزت زيارة الملك سنة ١٣٦٦هـ لمدينة بريدة بأنها كانت زيارة مشهودة ومشهورة، ذلك أن الملك أمر أن يؤسس القصيم مطاراً جديداً في مدينة بريدة، فكان موقعه في (الودي) مكان جامع الراجحي حالياً وما حوله، وتم نصب مخيم ضخم في حي التغيرة بلغت مساحته تسعمائة ألف متر مربع تقريباً، فلما ان كان صباح ١٧ ربيع الآخر من تلك السنة خرج أهالي بريدة بأعداد غفيرة وجموع كبيرة إلى المطار انتظاراً لوصول الملك، وفي تمام الساعة الثانية والربع صباحاً بالتوقيت العربي هبطت طائرة الملك وسبع طائرات أخرى، وبصحبة الملك أنجاله وحرسه الخاص.

ولما ان كان هذا أول قدوم للملك بالطائرة فقد كان حدثاً مؤرخاً ومشهوراً، وقُدر من حضر في تلك اللحظة بالآلاف، وهتف الناس به ينشدون ومنه قولهم:

قدم الذيب مسعود المطار
مرحبا بالإمام ابن الإمام

وألقى الأستاذ صالح بن سليمان العمري قصيدة رائعة ترحيباً بالملك ومنها قوله:

بشراك يا ملك الإسلام بشراكا
وخادم الحرمين المجدُ مسعاكا
فللقصيم وبالإخلاص تعرفه
شوقٌ عظيمٌ إلى لقيا محياك
كأنما شوقه والساكنين به
شوقُ المتيم يعقوب لرؤياكا
هذا قليلٌ من الشعب الوفي لمن
يحمي حمى الدين والأوطان شرواكا

ثم قام أهالي بريدة في ليلة اليوم التالي باستعراض بديع أمام الملك بقيادة أمير القصيم عبدالله بن فيصل بن فرحان، وهم يهزجون الأناشيد ويضربون الدفوف، وفي صبيحة اليوم التالي تمنطق كل واحد منهم بسيف أو بندقية وصفوا صفين أمام قصر الحكم في بريدة ثم مشوا من ذلك الموضع ونزلوا (الخبيب) بطول أربعة كيلو، وهم يضربون الدفوف فكان لهم جلبة عظيمة ومنظر مهيب، واستمر الاستعراض ست ساعات وأطلق

المصـــــدر : الجزيرة
التـــاريخ : 16-06-2006 العـــدد : 12314
الصفحـات : 25 المسلسل : 152

الرصاص في الهواء، وكان الملك حاضراً هذا الاستعراض البهيج، وأعيد الاستعراض في اليوم التالي مرة أخرى. وقد قُدر عدد الذين اشتركوا في الاستعراض بستين ألفاً.

وأعجب الملك بما رآه وسره هذا المنظر البديع الذي ظهر منه حماسة الأهالي وتأييدهم للملك وفرحتهم به.

ثم ذهب الملك إلى حائل وأقام فيها يومين ثم رجع إلى بريدة فاستقبله الأهالي في المطار وازدحموا للسلام عليه وهو يبتسم عجباً من محبتهم له، ثم أقام في بريدة إلى ١٧ جمادى الأولى، فرحل في صبيحة ذلك اليوم وهو يوم الثلاثاء مستقلاً طائرته الخاصة، فكانت إقامته في بريدة قرابة شهر كامل.

ومن الطريف أن كبار أهل بريدة قالوا للملك: إنا نخشى عليك من هذه الطائرات فنرى ألا تركبها، وذلك لمحبتهم له وخوفهم عليه، فرد عليهم الملك: أنا متوكل على الله!!

الملك سعود:

لقد زار الملك سعود مدينة بريدة ثلاث مرات، كانت المرة الأولى بعد أن تولى المُلك بثلاثة أشهر، ففي ١-٦-١٣٧٣هـ جاء الخبر بنية الملك سعود لزيارة مدينة بريدة، فنشط الأهالي للاستعداد لاستقبال الملك بما يليق به، فزُينت المدينة بأقواس النصر والأعلام والأنوار وأغلقت المحال التجارية وعُطلت أغلب الأعمال، فلما كان صباح يوم الأحد ١١-٦ خرج الأهالي وطلاب المدارس وصفوا صفين يرحبون بالملك، قال والدي: كنا صغاراً لما خرجنا لاستقباله فحضر الخياطون ووزعت علينا الثياب البيض والغتر البيضاء والسراويل، وكانت الأناشيد تصدح بمكبرات الصوت من فوق أقواس النصر، وبعد أن انتهينا من استقباله اطعمونا ووزعوا علىَ كل واحد منا ثلاثين ريالاً فضة.

وكان موضع الاستقبال مكان الورش في الشارع التجاري الحالي، ويقدر عدد من حضر بمائة ألف، ثم أقيم حفل ألقيت فيه الكلمات الترحيبية والقصائد والأناشيد فرحة بالمقدم الميمون، وعلى الرغم من طول رحلة الملك والجهد الذي بدا عليه إلا أنه بقي وقتاً طويلاً مع الأهالي استبشاراً بما رأى واغتباطاً بهذا الاستقبال، وبعد الغداء انتقل الملك إلى داخل مدينة بريدة وكانت صفوف الطلاب على طول الطريق تهتف مرحبةً به وتتلقى القصائد وتهتز بالأناشيد، ودار الملك على بيوت المشايخ والعلماء تكريماً لهم.

وكان أُقيم للملك مخيم كبير قرب حي الشماس، والاحتفالات مستمرة في أماكن متعددة طوال ثلاثة أيام، ثم انطلق في زيارات لمدن القصيم الأخرى يعود بعدها في كل ليلة إلى مقره في بريدة لمدة أربعة أيام، قال والدي: وكان الملك يدور في شوارع مدينة بريدة والناس وقوف كل أمام منزله وبيده دلة القهوة فيقف الملك ويأخذ الفنجان ثم يأمر بصرف مبلغ من المال للرجل، فكان يوماً لا يُنسى وحدثاً يُلهج به إلى الآن.

وكل من ألقى كلمة أو خطبة أو قصيدة في أي مكان من أماكن الاحتفالات يُعطى مائتيّ ريال.

أما الزيارة الثانية للملك سعود فكانت سنة ١٣٧٧هـ ففي يوم الأربعاء ٢٧ جمادى الأولى قدم الملك سعود إلى مدينة بريدة فاستُقبل بحفاوة في المطار، وكانت المدينة قد تزينت بأبهى مما فعلت له من قبل، وأُقيم حفل ترحيبي للملك في مطار بريدة ألقيت فيه الخطب والقصائد، ثم انتقل إلى مخيم عظيم أعده له أهالي بريدة في الشماس، وجُدد الترحيب به وعُملت وليمة فخمة احتفاءً بالمليك، وبعد صلاة العصر زار القاضي عبدالله بن محمد بن حميد، ثم زار المكتبة العلمية، وتنقل في زيارات لبعض المشايخ والأعيان، وبعدها ذهب لاحتفال هيئة التعليم في ربعة وهطان (حي السلام حالياً) وحضر بعض المباريات الرياضية، ثم زار عين آل راشد بوهطان وصلى المغرب هناك، وتناول طعام العشاء في قصر الأمير محمد بن بتال.

وفي يوم الخميس التالي زار الملك المعهد العلمي وسمع بعض الخطب والكلمات.

ومن الطريف أن الجزارين في بريدة أقاموا للملك احتفالاً في شارعهم وعطلوا أعمالهم ثلاثة أيام فلم يُذبح للبيع أي شيء في يومين لانشغالهم بالإعداد لاحتفالهم، وقد زارهم الملك بعد أن خرج من المعهد العلمي وجلس بينهم وقدموا له عشرين من النياق فقبلها وشكرهم.

وفي يوم الجمعة صلى الملك بالمسجد الجامع ثم سار إلى عنيزة وبقي فيها إلى أذان العصر ورجع منها إلى بريدة حيث ودع الأهالي وخرج إلى مخيمه في البطين.

والزيارة الثالثة للملك سعود كانت في ٢٥-٤-١٣٧٩هـ ففي يوم الثلاثاء قدم الملك سعود إلى مدينة بريدة فخرج الأهالي بأعداد غفيرة لاستقباله ثمانين ألفاً أو يزيدون، وأنزلته العائلة الكريمة ذات الأفضال الجميلة والكثيرة آل راشد الحميد بيوتهم الجديدة في الراشديات (أحد أحياء بريدة الشمالية) بعد أن اجتهدوا في تأثيث البيوت بأفضل الأثاث وأفخمه، وخلال وجوده حضر حفل التعليم في مدرسة الخالدية، وبقي في مدينة بريدة إلى يوم الجمعة، فحضر خطبة الجمعة في جامع بريدة، وكان الخطيب الشيخ محمد بن عبدالله بن حميد، فلما انتهى من الخطبة ونزل للصلاة قال: (يتقدم الإمام الأعظم ليؤمكم في الصلاة) فتقدم الملك وصلى بالناس، وقرأ بالركعة الأولى الضحى وفي الثانية الشرح، ثم زار بعض من القصيم ورجع يوم الاثنين ١-٥ وفي آخر ذلك اليوم سافر منها إلى حائل.

الملك فيصل

قدم الملك مدينة بريدة في ٩-١-١٣٩٣هـ ولا تزال ذكريات استقباله وأنا صغير راسخة في ذهني، فقد كنت حينها في ثاني ابتدائي فأخذونا إلى شمال المدينة وصففنا صفين وقد لبسنا الثياب البيضاء والغتر البيضاء ووزعوا علينا أعلاماً خضراء صغيرة، فلما قدم الملك بموكبه كنا نلوح بالأعلام ونهتف (حياك الله يا أبو عبدالله) والملك يلوح بيده مبتسماً.

وكان قد أُقيم له مخيم في حي المليداء أحد أحياء بريدة الغربية على مساحة واسعة، وكان الوقت ربيعاً، وفي ذلك المكان يكثر الكمأ، فكان الملك إذا قام في الصباح يتمشى في تلك الأراضي ويلتقط الفقع.

وأُقيم للملك احتفال بهيج وكبير في مخيمه ضم جميع مدن وقرى القصيم، وسارت أمامه مواكب كل مدينة وبلدة وكلهم تحت علم واحد.

د. عبدالعزيز بن سليمان المقبل
aiziz8@hotmail.com